مسيرة العودة الكبرى: ورقة تقييمية

عصام حلمي حماد

نائب رئيس اللجنة التنسيقية الدولية لمسيرة العودة الكبرى

مسودة ورقة مقدمة إلى حلقة نقاش

عام على مسيرات العودة

25 آذار 2019 – (البيرة، غزة)

مسيرة العودة الكبرى 2011

لا يدرك كثيرين أن المجموعات الشبابية التي دعت في عام 2018 لتنظيم مسيرة العودة الكبرى التي يسير فيها الفلسطينيون من كافة أماكن اللجوء التي ترتبط بحدود مع فلسطين سيراً على الأقدام هي نفسها التي نظمت ونفذت الحراك عام 2011،

وكما قال عضو اللجنة التحضيرية لمسيرة عودة اللاجئين أحمد أبو رتيمة آنذاك في لقاء مع شبكة الجزيرة الإخبارية ، "إن التغير الذي تشهده المنطقة أوجد في الأمة روحا غير مسبوقة من الثقة بالنفس، مما دفعنا لاستغلالها لتحقيق أحلامنا بالعودة إلى فلسطين التاريخية بالطرق السلمية المشروعة وفق ما يضمنه القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة." وأضاف أن "كل المساعي تنصب من أجل خروج مسيرات سلمية مليونية على الحدود مع قطاع غزة والضفة الغربية وفلسطيني الداخل ولاجئي لبنان وسوريا والأردن، وسنبقى معتصمين في الخيام ونرفع الشعارات بجميع اللغات حتى تحقيق حلمنا بالعودة، وذلك بالتزامن مع مسيرات ستنطلق من كافة عواصم العالم لنصرة القضية الفلسطينية."

وقد تفاعل مع هذا الحراك الشبابي آلاف الفلسطينيين من كل مكان وفي غضون شهرين كانت المسيرة أمراً واقعاً على الأرض حيث انطلقت من سوريا والأردن ولبنان والضفة الغربية ومصر وقطاع غزة والضفة الغربية.

وسارت في كل منطقة من المناطق على النحو التالي:

فلسطين

خرجت مسيرات احتجاجية من قطاع غزة شارك فيها آلاف الأشخاص وحاولوا العُبور شمالاً عبر بلدة بيت حانون، غير أن الشرطة التابعة لحركة حماس وَضعت حواجز أمنية وأعاقت عُبُورهم، وقامت القوات الإسرائيلية على الجهة المُقابلة من الحُدود بدورها بإطلاق الرصاص الحي على المُتظاهرين مُسقطة قتيلاً و125 جريحاً على الأقل، وفي الضفة الغربية خرج الآلاف في رام الله مُتجهين نحو بلدة قلنديا بهدف دُخول القدس، وعند قلنديا نشبت مواجهات بين الجيش الإسرائيلي والمُتظاهرين الذي أطلقت عليهم قنابل الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي مسقطاً عشرات الجرحى .

لبنان

في لبنان انطلقت مُظاهرة حاشدة شاركَ فيها ما قُدرَ بـ50,000 شخص نحوَ بلدة مارون الراس بهدف عُبورها نحوَ الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفي البداية حاولَ الجيش اللبناني قذف الرصاص في الهواء لتحذيرهم وإبعادهم، غير أنهم تابعوا السَّير نحو الحدود. ومع بُلوغهم إياها أطلق عليهمُ الجيش الإسرائيلي الرصاص الحي وقذائف الدبابات مما أدى إلى سقوط 10 قتلى و60 جريحاً على الأقل. وبعد ذلك قام الجيش اللبناني بسحب المُتظاهرين من منطقة الحدود تلافياً للمَزيد من الضحايا .

سوريا

في سوريا احتشد عدد من المُتظاهرين في هضبة الجولان الخاضعة لسيطرة إسرائيل متجهين نحو بلدة مجدل شمس، فأطلَقَ الجيش الإسرائيلي النار عليهم مسقطاً 4 قتلى على الأقل.

الأردن

خرجت مُظاهرات شارك فيها المئات في الأردن تأييداً للانتفاضة اتجهت إلى بلدة الكرامة المُجاورة للحُدود الإسرائيلية، غير أن الأمن فرقها هناك مُستخدماً القنابل المُسيلة للدموع وبعض الرصاص الحي

مصر

أغلقت السلطات في مصر مداخل شبه جزيرة سيناء ومنعت قوافل المُحتجين من دُخولها للزحف نحوَ معبر رفح.

إن دراسة الحالة التي خلقها الحراك الشبابي وملاحظة أن إجراءات وأد الحراك لم تكن فقط من قوات الاحتلال إنما ساهمت بها الأنظمة الحاكمة بشكل كامل، وهو ما يؤكد بأن الشباب قد يكون لهم الفهم والقدرة والتنظيم والفعل على الأرض إذا ترك لهم المجال بذلك.

مسيرة العودة الكبرى 2018

لقد انطلقت الشرارة لهذه المسيرة من مقال كتبه الناشط الشبابي أحمد أبو أرتيمة في صحيفة عربي 21 بتاريخ 7 يناير 2018، أحمد هو ذاته من كان عضواً في اللجنة التحضيرية للمسيرة السابقة،

تحلق حول هذه الدعوة في اليوم التالي مجموعة من الشباب كنت أنا واحداً منهم، وبدأ التنسيق لإطلاق مسيرة العودة الكبرى، فأنشأت اللجنة التنسيقية الدولية لمسيرة العودة الكبرى وبدأت بالعمل والتنسيق بين الجميع لإطلاق الحراك، وبدأت عملية واسعة للتنظير لها من أعضاء اللجنة التنسيقية عبر وسائل الاعلام، ولاقت الفكرة قبولاً مجتمعياً كبيراً، ومن ثم تم عرض الفكرة على الفصائل الفلسطينية التي تبنت الفكرة وشكلت لها هيئة وطنية لإدارتها.

في هذه الأثناء تكثفت العلاقة بين من أطلقوا الفكرة وبين الفصائل الفلسطينية، ولكن أعضاء اللجنة التنسيقية الدولية شعروا أن الفصائل لا تدرك جيداً شكل الحراك الشعبي السلمي ولا آلياته ولا الطريقة التي سيصل بها لأهدافه، فقررت اللجنة أن تكتب المبادئ العامة لمسيرة العودة الكبرى وتتوافق عليها مع الجميع.

أخذت المداولات بشأن وثيقة المبادئ حوالي أسبوعين، ومن ثم وصلت إلينا من المنسق العام للهيئة الوطنية وقد تغير عنوانها ليصبح" مسيرة العودة وإنهاء الحصار"،

وضعت الوثيقة هدف استراتيجي وعدة أهداف تكتيكية كما يلي:

الهدف الرئيس هو "عودة اللاجئين"

الهدف التكتيكي يتمثل في:

- التصدي لقرار ترامب بشأن القدس.
- إنهاء الحصار عن قطاع غزة .
- التصدي لاستهداف اللاجئين عبر وقف الدعم لوكالة الغوث (الأونروا).
- إفشال ومناهضة كافة مخططات التوطين الرامية لتصفية القضية وعلى رأسها صفقة القرن.

ووضعت الهيئة رؤية تقوم على ثلاث مراحل للوصول لأهدافها وهي كالتالي:

أولا: نقل وتعزيز الفعاليات الشعبية المتدحرجة لكسر الهالة الامنية الصهيونية التي حاول العدو ان يفرضها على ابناء شعبنا الفلسطيني ومنعه من الاقتراب من خط الهدنة،

ثانيا: التخييم شرق غزة على مقربة من خط الهدنة عام 48لفترة زمنية –لإرسال رسالة شعبنا للمجتمع الدولي وللمحاصرين للقطاع،

ثالثا: الاعداد لمسيرة مليونيه من غزة والضفة الغربية والشتات بشكل متزامن يتم الاتفاق على موعدها ويحضر لها بشكل محكم لضمان تحقيق الاهداف،

وتم تحديد

موعد التحرك الوطني هو ذكرى يوم الأرض في 30 آذار/مارس 2018 كبداية للحراك مع اعتبار ذكرى نكبة فلسطين 15–5–2018 محطة اخرى للتحركات الجماهيرية، وهذا يستدعي تحديد نقاط التخييم ونقاط الانطلاق بالمسيرات، حدود بعد المسافة عن السلك بكيلو متر واحد او 700متر على الاقل.

واتفق أن تتبنى المسيرة المبادئ التالية:

- هي أسلوب نضالي مستدام ومتراكم، وليست فعاليةً موسميةً أو حدثاً ليوم واحد فقط ، وستستمر حتى تحقيق العودة الفعلية بعون الله للاجئين الفلسطينيين.
- هي مسيرة وطنية متجاوزة للاختلافات السياسية، يلتقي فيها الفلسطينيون بمختلف مكوناتهم على القضية الجامعة المتمثلة في عودة اللاجئين،
- هي مسيرة شعبية وطنية تتصدرها العائلات برجالها ونسائها وأطفالها وتشارك فيها بإيجابية كل مكونات المجتمع الفلسطيني والمناصرون الأحرار من كل دول العالم.
- هي مسيرة حقوقية تنادي بحق إنساني يتمثل في عودة اللاجئين، لذلك فإن عدم إنجاز حق العودة هو مبرر لمواصلة المسيرة مهما بلغ مداها الزمني، ولا علاقة لها بأي صفقات أو عروض سياسية من أي جهة.
- هي مسيرة قانونية تستند إلى القرارات الدولية وأبرزها الفقرة 11 من قرار الأمم المتحدة رقم 194 والذي يدعو صراحةً إلى عودة اللاجئين الفلسطينيين في أقرب وقت إلى قراهم وبلداتهم.
- هي تشمل مختلف أماكن تواجد اللاجئين الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية والقدس والداخل ولبنان

وسوريا والأردن وغيرها، وتهدف إلى اعتصام اللاجئين سلمياً في أقرب نقطة من بلداتهم التي هجروا منها قسراً.

- إنجاح المسيرة يقتضي دوراً فاعلاً من جميع القوى في التحشيد وكافة أشكال الدعم، مع الأخذ بعين الاعتبار في الوقت ذاته ألا يظهر الطابع العسكري في المسيرة لتعميق مأزق الاحتلال وهو يواجه الشعب مباشرةً وحرمانه من تسويق دعاية دولية لتبرير العنف ضدها.

- هي مسيرة شعبية ذات طابع سلمي من مبتدئها إلى منتهاها بشكل كامل، ويجب أن تخلو من أي مظاهر للسلاح.

- تعتمد المسيرة أسلوب الاعتصام المفتوح والمتقدم المتدرج ان امكن ذلك ، ونصب الخيام وإقامة حياة اللجوء بالقرب من السلك الفاصل مع أراضينا وبيوتنا وديارنا التي تم تهجيرنا منها قسرا عام 1948 واستجلاب وسائل الإعلام الدولية لإيصال رسالتها إلى كل العالم.

- استخدام الطابع الشعبي والسلمي للمسيرة لضمان عدم حرف المسيرة عن رسالتها ويفضل أن تبدأ باعتصام قبل السلك العازل بسبعمائة متر على الأقل ,ثم يكون التقدم تدريجياً على مراحل لإطالة أمد التحشيد الداخلي والخارجي.

- يرفع خلال المسيرة والاعتصام علم فلسطين فقط ، وشعارات إنسانية تشرح عدالة قضية اللاجئين باللغات العربية والإنجليزية والعبرية.

- اللاجئون هم مسئولية الأمم المتحدة، لذلك تقع على المؤسسات الحقوقية مهمة مراسلة الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية التابعة لها وطلب الإشراف من قبلها على هذه المسيرات وتوجيه رسائل تحذيرية لدولة الاحتلال بعدم استهدافها.

- يجب التواصل مع مختلف النشطاء والمؤسسات الداعمة للحقوق الفلسطينية عبر العالم وخلق حالة مساندة عالمية لفكرة مسيرة العودة.

- كما يجب حشد كافة الجهود الإعلامية والحقوقية عبر العالم لتمثل ظهر إسناد حامياً لهذه المسيرة من

احتمالات العنف الإسرائيلي.

وقد تم نشر هذه المبادئ في مؤتمر صحفي عصر يوم 27 مارس 2018.

في اليوم الأول جمعة الثلاثين من مارس الذي كان الاتفاق عليه أنه انطلاق لمسيرة العودة باحتفال بيوم الأرض لتنطلق الفعاليات الحقيقية في اليوم التالي، تركت جموع الشعب لتصل إلى السياج بعشوائية وتواجه الرصاص من جيش الاحتلال بهمجية كبيرة أوقعت في ثمانية ساعات أكثر من 16 شهيداً و 1244 جريحاً جلهم من فئة الشبات.

في اليوم التالي ترك الميدان وكأنه لم يخطط لشيء، وكأن مسيرة العودة فعل قد خطط له ليوم واحد، ومن ثم توالت اجتهادات المجتهدين لنشهد جمعة الكاوتشوك ومظاهر لم تكن ببال أو خاطر الذين أطلقوا فكرة المسيرة.

واجهت اللجنة الكثير من المعوقات في تعاملها مع الفصائل كما أن تنفيذ الاعتصام السلمي لم يتبناه الجميع، ولم تدرك الفصائل الحاجة للتحشيد داخل المخيمات مع زيادة العدد والاستفادة من القوى الشبابية، وبدأ مع انطلاق المسيرة ظهور تنفيذ غير مدروس للمسيرة وترك لاجتهادات مختلفة من قوى شبابية لم تدرك المسار الذي تم الاتفاق عليه في وثيقة المبادئ، فبدأت مسارات المسيرة في الميدان تظهر فيها العشوائية واندفاع الشباب الذي حركته من الخلف مفاهيم أخرى فظهرت وحدات قص السلك والكاوشوك والطائرات والبلالين الحارقة ومن ثم الارباك الليلي ودفع الشعب وخاصة الشباب ثمناً غالياً للخروج عما اتفق عليه.

أظهرت التقارير الحقوقية المتعاقبة التي أصدرتها اللجنة القانونية والتواصل الدولي بالهيئة الوطنية أن أعداد الشهداء وصل حتى تاريخه ل 250 شهيداً بينما فاقت أعداد الجرحى 26000 بينما تم بتر أطراف ما يقارب 120 جريح.

وبتقييم موضوعي لأحداث المسيرة عبر عام من الزمن، نجد أن المسيرة حققت ثلاثة نجاحات لم يكن أي من الأهداف الاستراتيجية ولا التكتيكية من بينها فقد حققت ما يلي:

1. أظهرت أن الفلسطيني لا تكسر إرادته.
2. أعادت تسليط الضوء على القضية الفلسطينية ولكنها تناولتها من زاوية الحصار على قطاع غزة.
3. حققت وصول تقرير لجنة تقصي الحقائق بأن إسرائيل ارتكبت جرائم قد ترتقي لجرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب.

بينما أخفقت المسيرة في جذب الساحات الفلسطينية الأخرى للالتحاق بها لسببين

- تصدر حماس للمشهد وكان ذلك واضحاً في 30 مارس 2018.
- ربط مسيرة العودة بإنهاء الحصار ومن ثم تحويله للهدف الرئيسي للمسيرة.

بينما أخفقت المسيرة في جذب تعاطف الشعوب المحبة للسلام لثلاثة أسباب وهي:

- عدم وقوف الفلسطينيين جميعاً خلف المسيرة وتباين المواقف.
- استعمال الوسائل الخشنة في ميادين العودة.
- استخدام خطاب التحدي بدلاً عن خطاب المظلومية.

ومؤخراً يخشى على مسيرة العودة من التفكك للأسباب التالية:

- استمرار حماس في تصدر المشهد واتخاذ قرارات بعيدا عن الإجماع وفي مخالفة لما يتم الاتفاق عليه والارباك الليلي أحد الشواهد.
- التكلفة العالية التي يدفعها القطاع وشبابه.
- ارتباط المسيرة بما بات يسمى السولار والدولار وهو ما خفض من قيمة الفعل الوطني والنضال من أجل العودة.
- عدم اشراك المجتمع المدني ومفكري الوطن في اتخاذ القرارات الاستراتيجية.
- الفشل في جذب فعاليات عالمية على غرار حركة مقاطعة إسرائيل BDS.
- استمرار عدم تبني الخطاب الرسمي الفلسطيني لمسيرة العودة وعدم القيام بالواجبات القانونية تجاه تجريم الاحتلال في المحافل الدولية.
- سيطرة الانقسام الفلسطيني على كل تفاصيل الحياة.

- العقوبات التي تفرضها السلطة على قطاع غزة.
- بدء تشكل حراكات الأمعاء الخاوية وانتشارها والتعامل الخشن مع متظاهري لقمة العيش.

التوصيات

مما تم تقديمه سابقاً يظهر جلياً بأن اتفاقاً واضحاً قد تم ابرامه يوضح شكل الحراك ومبادئه ومراحل تطبيقه، كما يظهر انحراف التطبيق عما اتفق عليه، ولذلك فإن مسيرة العودة الآن تمر في خطر شديد، ولابد من انقاذها لأنها أعظم فعل نضالي قام به الشعب الفلسطيني منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى، ولكي يتم إنقاذ المسيرة لابد من نشر فعالياتها خارج قطاع غزة، فعدم تحليقها خارج قطاع غزة سيضع المزيد من العبء على القطاع المحاصر أصلاً ويخشى أن تتلاشى يوماً بعد يوم.

أوصي بتشكيل هيئة أمناء مسيرة العودة الكبرى من مائة شخصية فلسطينية في أماكن مختلفة بحيث أن تمثل هيئة الأمناء كافة المناطق الجغرافية التي يتواجد فيها الفلسطينيين وهذا مثال مقترح للتمثيل،

قطاع غزة 12 أعضاء

الضفة الغربية 12 أعضاء

الداخل المحتل 6 أعضاء

لبنان 5 أعضاء

سوريا 4 أعضاء

الأردن 12 أعضاء

مصر 5 أعضاء

الكويت عن الخليج العربي 4 أعضاء

العراق 3 أعضاء

اليمن 3 أعضاء

السويد 3 أعضاء

النرويج 3 أعضاء

أوروبا 6 أعضاء

أمريكا 6 أعضاء

كندا 3 أعضاء

تشيلي عضوين

جنوب أفريقيا عضوين

ماليزيا 3 أعضاء

تركيا 3 أعضاء

استراليا 3 أعضاء

وتقوم هذه الهيئة على الإشراف على نشاطات ثقافية وفلكلورية وفكرية وفنية في اعتصام يقام يوم السبت في كل دولة أو إقليم بحيث يعتصم عدد من الفلسطينيين والمناصرين لهم في كل أسبوع ويرفعون علم فلسطين وعلم العودة وعلم هيئة الأمناء، مثل هكذا حراك عالمي سيعلى الإرادة الفلسطينية للشعب بأكمله ليدق ناقوس العودة، كما من شأن هذا الحراك أن يربك الساحة الدولية لأنه حراك قائم على تطبيق القرار 194وينادي بعودة اللاجئين لأرضهم دون التطرق للجدل الخاص بمن الجهة التي تحكم أو الدخول في التعقيدات السياسية فهو حراك هدفه عودة اللاجئين وتطبيق القرار فقط.

كما من شأن هذا الحراك أن يلف حوله المناصرين لهذا الحق حول العالم وإبراز القرار كما من شأنه تخفيف الضغط

عن قطاع غزة واطالة أمد الحراك وتحويله لعمل مستدام تشرف عليه هيئة وطنية فلسطينية دولية جامعة.